

415798 - هل الكون يتحرك بسفن وقوانين، أم بتدبير الملائكة الموكلة به؟

السؤال

جاء النص على أن للملائكة مهام موكلة إليهم؛ مثل سوق السحاب حيث شاء الله تعالى، وإنبات النبات، وإنزال المطر، فكيف نجمع بين هذا وبين العلم التجريبي؟

الإجابة المفصلة

قد كلف الله تعالى الملائكة بمهام في هذا الكون لا تعملاها إلا بأمره سبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى: (فَالْمُقْسَمَاتِ أَمْرًا) الذاريات/4.

وقوله تعالى: (فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) النازعات/5.

قال ابن القيم رحمة الله تعالى:

” وكل حركة في السماوات والأرض: من حركات الأفلاك، والنجوم، والشمس، والقمر، والرياح، والسحاب، والنبات، والحيوان، فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسماء والأرض، كما قال تعالى: (فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا)، وقال: (فَالْمُقْسَمَاتِ أَمْرًا) .

وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل عليهم السلام...

وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبار ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظه، وملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته...

فالملائكة أعظم جنود الله تعالى. ومنهم:

المرسلات عرفا، والناشرات نشرا، والفارقات فرقا، والملقيات ذكرا، ومنهم: النازعات غرقا، والناشطات نشطا، والسابحات سباحا، فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا، ومنهم: الصافات صفا، فالزاجرات زجرا، فال التاليات ذكرا ...

لفظ ”الملَك“ يشعر بأنه رسول منفذ لأمر غيره، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره:

(لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ وَلَا يَسْعَوْنَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيتِهِ مُسْفِقُونَ)، (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ)، (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ).

ولا تنزل إلا بأمره، ولا تفعل شيئا إلا من بعد إذنه ”انتهى من“ إغاثة اللهفان“ (2/842-843).

واعتقاد هذا لا يعني رد ما نتيقن من وجوده من سنن بِّتها الله تعالى في خلقه؛ لأنَّ الأمرين لا يتناقضان عقلاً، ولا واقعاً.

فلا يلزم من تصرف الملائكة، بطلان السنن، ولا يلزم من إثبات السنن، إبطال عمل الملائكة وتدبيرها، بل العقل له القدرة على تصور أنَّ السنن هذه هي أثر تدبير الملائكة وتصرفها المأمورة به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

”وَأَمَّا ”الرَّعْدُ وَالْبَرْقُ ”فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ فِي التَّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّعْدِ قَالَ: (مَلَكٌ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُوكِلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِقٌ مِّنْ نَارٍ، يَسُوقُ بَهَا السَّحَابَ حِيثُ شَاءَ اللَّهُ). وَفِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ لِلْخَرَائِطيِّ: عَنْ عَلَيِّ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّعْدِ فَقَالَ: (مَلَكٌ، وَسَيْلٌ عَنِ الْبَرْقِ فَقَالَ: مَخَارِقٌ بِأَيْدِيِّ الْمَلَائِكَةِ – وَفِي رَوَايَةِ عَنْهُ – مَخَارِقٌ مِّنْ حَدِيدٍ بِيَدِهِ). وَرُوِيَ فِي ذَلِكَ آثَارٌ كَذَلِكَ.

وقد روي عن بعض السلف أقوال لا تخالف ذلك، كقول من يقول: إنه اصطكاك أجرام السحاب بسبب انضغاط الهواء فيه، فإن هذا لا ينافي ذلك، فإن الرعد مصدر رعد يرعد رعداً. وكذلك الراءد يسمى رعداً. كما يسمى العادل عدلاً. والحركة توجب الصوت، والملائكة هي التي تحرك السحاب وتنقله من مكان إلى مكان، وكل حركة في العالم العلوي والسفلي فهي عن الملائكة، وصوت الإنسان هو عن اصطكاك أجرامه، الذي هو شفتاه ولسانه وأسنانه ولهااته وحلقه. وهو مع ذلك يكون مسبحاً للرب. وأمراً بمعروف وناهياً عن منكر.

فالرعد إذا صوت يزجر السحاب، وكذلك البرق، قد قيل: لمعان الماء، أو لمعان النار، وكونه لمعان النار أو الماء، لا ينافي أن يكون اللام مخرقاً بيد الملك، فإن النار التي تلمع بيد الملك كالمحراق، مثل مزجي المطر. والملك يزجي السحاب كما يزجي السائق للمطري.

والزلزال من الآيات التي يخوف الله بها عباده، كما يخوفهم بالكسوف وغيره من الآيات.

والحوادث لها أسباب وحكم، فكونها آية يخوف الله بها عباده هي من حكمة ذلك.

وأما أسبابه: فمن أسبابه انضغاط البخار في جوف الأرض، كما ينضغط الريح والماء في المكان الضيق، فإذا انضغط، طلب مخرجاً، فيشق ويزلزل ما قرب منه من الأرض ”انتهى من“ مجموع الفتاوى“ (24/263-264).

والحاصل:

أنه لا تنافي بين إثبات السنن الكونية، والأسباب الحسية لما يقع في الكون كله، وبين إثبات الأسباب الغيبية لذلك؛ كما أن الموت يحدث بأسباب حسية، يعلم كثير منها للناس، من مرض، أو حادث، أو قتل ظاهر، ونحو ذلك، وسببه الغيبي: انتهاء أجله، وقبض الملك لروحه.

والله أعلم.